

تحية طيبة، أتمنى ان تكونوا في صحة وعافية،

أضع بين أيديكم هذه الوثيقة التي تحتوي على مدخل تعريفى للمركز من أجل الدراسات الثقافية المعاصرة، أوضح من خلاله الإشكاليات التي طرحها، و المفاهيم المفتاحية التي تسمح بالولوج الى تفسيراته النظرية، مع العمل قدر المستطاع على سيقنتها للسماح للطلاب بفهم العلاقة بين النظرية والسياق المجتمعي الذي تنتج فيه. أشرح في المحور الثاني نظرية «هول» S.Hall حول الترميز و فك الترميز، والتي تعد المنطلق، و المرتكز في العمل التنظيري للمركز.

أنبه الطلبة الى ان هذه الوثيقة المختصرة ما هي إلا مفاتيح للفهم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال، ان تشكل بديلا عن الاطلاع ومدارسة المراجع الأساسية للباحثين المنتمين للمركز على غرار هوقارت، هول، مورلي... وغيرهم من الجيل الأول.

سأعمل على شرح نظرية هول في اللقاء الذي سيجمعنا يوم السبت، وعليه أتمنى لكم قراءة متمعة.

أ. عزيز لعبان

المحور الأول: الأسس النظرية للدراسات الثقافية

▪ نشأة المركز:

- عرفت سنة 1964 نشأة «المركز من اجل الدراسات الثقافية المعاصرة» « Center for contemporary .cultural studies” CCCP
- تولى ادارة المركز R. Hoggart بين سنة 1964-1968
- ليخلفه منذ سنة 1968 S. Hall

إذا حق لنا تقييم المركز طوال مدة نشاطه فإنه لا يمكن اغفال عاملين اثنين يشكلان نوع من الأجماع و هما:

أولاً: شكل المركز اطاراً للتنشيط العلمي، و ارضية متعددة لنقل النظريات من سياقاتها المختلفة الى الفضاء البريطاني على غرار ما قامت به مع مدرسة «فرانكفورت»

ثانياً: ساهم المركز في بعث الحياة في الكثير من المجالات المعرفية، منها الثقافات الشعبية، وسائل الاتصال الجماهيرية، والمسائل المتعلقة بالهويات الاثنية، بالإضافة الى تركيب مرجعيات نظرية متنوعة.

1. الثقافة و المجتمع

□ الثقافة كموضوع بحث:

يمكن القول ان مفهوم الثقافة من المفاهيم التي شكلت اكثر واكبر الاهتمامات في العلوم الاجتماعية، و اكثرها تناقضا ايضا. بما يحيله المفهوم من اختلاف.

وهذا من زاويتين على الاقل :

أولا: المحتوى **ثانيا:** السياق

أولاً: المحتوى

يحيلنا مفهوم الثقافة من حيث المحتوى الى اتجاهين متناقضين على الاقل:

أ : قد يحيلنا الى الانجازات الثقافية الكبرى التي تحمل الشرعية الثقافية (اي المعترف بها في الاوساط الثقافية).

ب: قد يحيلنا الى معنى انثروبولوجي اوسع، ليشمل طرق الحياة، والتفكير، واللباس، والشعور... .

كما بالإمكان أيضا لمفهوم الثقافة ان يحيلنا الى
التناقضات الموجودة في الثقافة على غرار المقابلة بين

■ ثقافة النخبة التي تملك الشرعية من خلال التحف
الفنية و الاعمال الادبية.

■ و الثقافة الجماهيرية كنتاج للصناعات الثقافية المختلفة.

ثانياً: السياق

يشكل السياق مصدر الاختلاف والتناقض في بعض الاحيان حول مفهوم الثقافة، عندما يكون التعريف مرتبط بالسياقات الاجتماعية لمختلف المجتمعات على غرار الفرق الذي نجده في الدراسات الثقافية الامريكية، البريطانية، الالمانية، والفرنسية.

كيف يمكن للثقافة الخاصة
بجماعة اجتماعية معينة، او
ثقافة الطبقة الشعبية، ان تكون
محركا لمعارضة النظام
الاجتماعي، او في المقابل ان
تكون هذه الثقافة ذاتها عاملا
للإدماج في علاقات السلطة؟

انطلاقا من هذا كله
ماذا تقترح الدراسات
الثقافية كموضوع
للبحث؟ وما هي
اشكالياتها؟

و يستمد هذا الاشكال جذوره من النقاش الذي كان سائدا في بريطانيا القرن 19 ، حول اهتزاز الدور الذي تلعبه الثقافة كأداة لإعادة تنظيم المجتمع، جراء التمدن، والبعث الميكانيكي الذي اخذه المجتمع، بالإضافة الى بروز جماعات اجتماعية جديدة (الطبقة المتوسطة) .

واعادة بعث الثقافة كاسمنت للوعي الوطني.

و تم الانتقال من التفكير
المركز على العلاقة

الثقافة-الامة

الى مفهوم

الثقافة-ثقافة الجماعات

الاجتماعية المختلفة

{

شكل هذا النقاش

النواة التي سمحت

ببروز الدراسات

الثقافية كأنموذج،

وتساؤل نظري منظم

ومنسجم

فاتجهدت البحوث الى دراسة :

- ثقافة الشباب و ثقافة الطبقة العاملة.
- محتويات وسائل الاتصال الجماهيرية
- تلقي الرسائل الاعلامية

انتشرت البحوث بعد ذلك واتسعت مضامينها و
ادواتها، فظهر الاهتمام بـ

- دراسة النوع (الجنس) Genre
- دراسة الاثنية Ethnicité
- دراسة مجمل الممارسات الاستهلاكية

و عليه فان التطورات التي شهدها العالم ومنها

السياسية: افول الشيوعية كإيديولوجيا

التكنولوجية: ظهور تكنولوجيات اتصالية حديثة مختلفة

عن وسائل الاتصال الجماهيرية

الاجتماعية: مختلف التطورات التي حصلت، منها

العلاقة بين الطبقات، و التغيرات السوسيوثقافية التي

تبعث التكنولوجيا.

كلها ادت الى تطوير الانموذج

و الانتباه الى متغيرات جديدة من خلال

■ التأكيد على **قدرة المتلقين النقدية** تجاه الرسائل
الاعلامية

■ اعادة النظر في الدور الذي تلعبه الطبقة كعامل مفسر
للعلاقة بين الرسالة والمتلقي، والتأكيد على دور عوامل
اخرى مثل **السن، النوع، والهويات الاثنية، والثقافية**
الفرعية.

و تفرعت الاشكاليات الثقافية للدراسات الثقافية الى :

- ثقافة النخبة في مقابل الثقافة الجماهيرية
- الثقافات الفرعية و انماط الحياة
- اعادة النظر في دور الطبقة والاتجاه الى عوامل مثل النوع، والهويات الاثنية.

■ الثقافات الفرعية و انماط الحياة

تنطلق من افتراض ان هناك ازمة في اعادة انتاج العالم العمالي، وهذا يعني ان هناك صعوبة في نقل الإرث الثقافي لهذه الطبقة الى الأجيال المتعاقبة ويعود ذلك لعدة اسباب:

✓ تعميم التعليم، والتغيرات في المحيط الاعلامي، وتغير نمط الاسكان، احدث قطيعة في التنشئة الاجتماعية للأجيال.

✓ التغيرات التي عرفها عالم الشغل مثل سيرورة الإنتاج، البطالة الواسعة، المقابل المادي للشغل

اعاد تشكيل وزعزعت الهوية العمالية

و بناء عليه يمكن حصر انماط الحياة الناتجة عن هذا
الارباك في الهوية الى نمطين احدهما يمثل الاستمرارية و
الثاني القطيعة

- أ- الاستمرارية:** محاولة
الاجيال الجديدة من الشباب
اعادة هيكلة قيم من التراث
العمالي، في انماط و طرق
شبابية (التضامن في المجموعة،
الفحولة العنيفة، القوة...) و
ظهر ذلك مع Rockers
- ب- القطيعة:** و هي طرق
الحياة التي ظهرت مع Hippy
التي تميزت بالاستهلاك، و
المتعة، و سهولة الحركة
الاجتماعية، و الخصائص
الاكثر فضاضة للفحولة.

■ اعادة النظر في دور الطبقة والاتجاه الى عوامل مثل النوع، والهويات الاثنية.

يتعلق الامر بنوعين من الدراسات هما :

أ - دراسة النوع

ب - دراسة الهويات الاثنية

أ – دراسة النوع

يعود اهتمام الدراسات الثقافية بالنوع الى :

✓ التوجه النسائي لبعض اعضائها

✓ الدراسات الامبريقية التي اظهرت الفوارق الموجودة بين

الذكور و الاناث في مجال الاستهلاك، وتقدير

المنتجات التلفزيونية و الثقافية (الاهتمام بالأدب الذي

كان توجهه ذكوريا)

ب - دراسة الهويات الاثنية

بدأ الاهتمام بالهويات الاثنية

✓ مع تعاظم تواجد هذه الجماعات في بريطانيا، ومختلف ردود الافعال التي كانت تثيرها خاصة ردود الافعال العنصرية، بالإضافة الى تمييزها كجماعات لها طقوسها، وعاداتها.

✓ بعض اعضائها منحدرين من هذه الاقليات على غرار

S. Hall

المحور الثاني: دراسة التلقي في اطار الدراسات الثقافية.

– فك رموز الخطاب التلفزيوني عند Hall .Stuart



{ هال Stuart Hall
ولد سنة 1932 من
اصول جمايكية
Jamaicain و من
عائلة يقول عنها انها
تنتمي الى الطبقة
المتوسطة

▪ درس الادب، و ربط علاقات مع المناضلين الوطنيين () للامم المستعمرة، كما ربط علاقات مع المناضلين اليساريين من دون الانخراط العضوي في هذه الاحزاب.

▪ بدأ تدريس وسائل الاعلام، و السينما سنة 1961 في جامعة London — Chelsea College.

▪ كتب سنة 1964 رفقة Paddy Whannel،

The Popular Arts الذي عالج من خلاله

موسيقى الجاز

■ في سنة 1964 طلب منه Hoggart مرافقته في تأسيس C.C.C.S بحيث كان يقول في شأنه:

« Je ne suis pas un théoricien. Stuart Hall est un théoricien. Il est habituellement et par instinct un très subtil manieur de théories, de sorte que nous nous complétons parfaitement »

▪ على خلاف المؤسسين الآخرين لم يكتب Hall كتباً بقدر ما كان ينشر مقالات علمية كثيرة، ولهذا لا نجد له كتاباً مرجعياً مثل زملائه الآخرين، و إنما عرف أكثر بالمقالات الكثيرة و المتعددة التي كتبها على غرار . Encoding Decoding

▪ عاجل قضايا متنوعة، إلا ان الجزء الأكبر من عمل Hall تمثل في محاولة القيام ببناء مفاهيمي نظري.

■ يصعب الفصل بين السياسي و الفكري في طرح Hall ، لأنه حاول في كل مرة ربط مقارنته المعرفية العلمية بالتغيرات السياسية التي حصلت و تحصل. اذ ان التحولات السياسية كانت دائما المرتكز الذي سمح له بإعادة بسط، وحتى اختبار معارفه من خلال اعادة ادماج اشكاليات جديدة، و تساؤلات جديدة، و موضوعات جديدة.

ب - طرق تأويل الخطاب التلفزيوني

- ينطلق " هال " من مبدأ أن ما يظهره التلفزيون ليس هو الواقع (رغم محاولات المهنيين إقناعنا عكس ذلك) أي أن الأحداث ليست " خام ».
- و حتى نتمكن من إرسالها و فهمها ينبغي أن تحمل معنى ، أي أن تكون مرمّزة (Codes).

• تتدخل في هذه العملية (أي عملية ترميز الرسائل الإعلامية) عدة عوامل منها: التنظيم البيروقراطي للعمل داخل المؤسسة الإعلامية، الأيديولوجية المهنية، معرفة واسعة نوعا ما برغبات الجمهور، و أخيرا جو الآراء السائدة (Climat D'opinion) الذي ينبغي على المرسل التموقع فيه إذا أراد أن يوصل رسالته.

تدفع هذه الظروف رجال الإعلام إلى استخدام لغة
معينة، أو بالأحرى لغة مجازية، و فيما يخص التلفزيون
طريقة متميزة في الكتابة السمعية البصرية (angle de
prise, grosseur de plans, rythme de montage
(حتى يكون للأشياء التي تعرض معنى في نظر الجمهور.

و يتمثل هذا المسار في:

أنا نضع أمام الواقع الذي نظهره عناصر " سياج
المعنى " (clôture de sens) بحيث تصبح للرسائل
الإعلامية " المعنى المهيمن " أو الدلالة المرجوة،
المنمطة، التي ينصح بها للجمهور.

إلا أنّ التساؤل الذي يطرح حول هذه السيرورة هو:

• هل الجمهور مجبر على فهم الرسالة بنفس الطريقة التي يريدّها المرسل ؟

■ إذا افترضنا ذلك فهذا معناه أن عملية نقل المعنى عن طريق الرسائل يتم بطريقة مثالية (parfaite).

■ أي أن الرسالة مرتبطة بواقع مادي موجود قبل الاتصال (عملية النقل)، مثل الشيء الذي ننقله من يد إلى أخرى دون أن يلمسه أي تغيير أثناء الإرسال أو الاستقبال.

■ و تكون بهذا الشكل عملية - الإرسال و الاستقبال - عملية ميكانيكية للترميز و فك الرموز.

الا ان Hall و الدراسات الثقافية ترى ان عملية الاتصال
اكثر تعقيدا

إن عملية الاتصال في الحقيقة تحمل في طياتها ما هو غير
مفهوم كما تحمل معاني مضادة، و معاكسة للمعنى
المراد، و هذا لطبيعة تعقد السيرورة التأويلية.

■ إن تعدد معاني الرسالة يبرز أكثر مع الاتصال الايقوني (icone)، بحيث نجد أنفسنا أمام عدد لا متناه من المبهمات بين الألوان، و الأشكال.

■ فنحن إذا أمام علاقة تشابه. و إذا أضفنا الأصوات إلى الألوان و الأشكال، فإن المعاني تزداد تنوعا و تعقيدا.

و بناء عليه.

■ فان اعتبار المستقبل يتمتع بدرجة من الحرية في تأويل الرسائل يصبح واقعا محتوما.

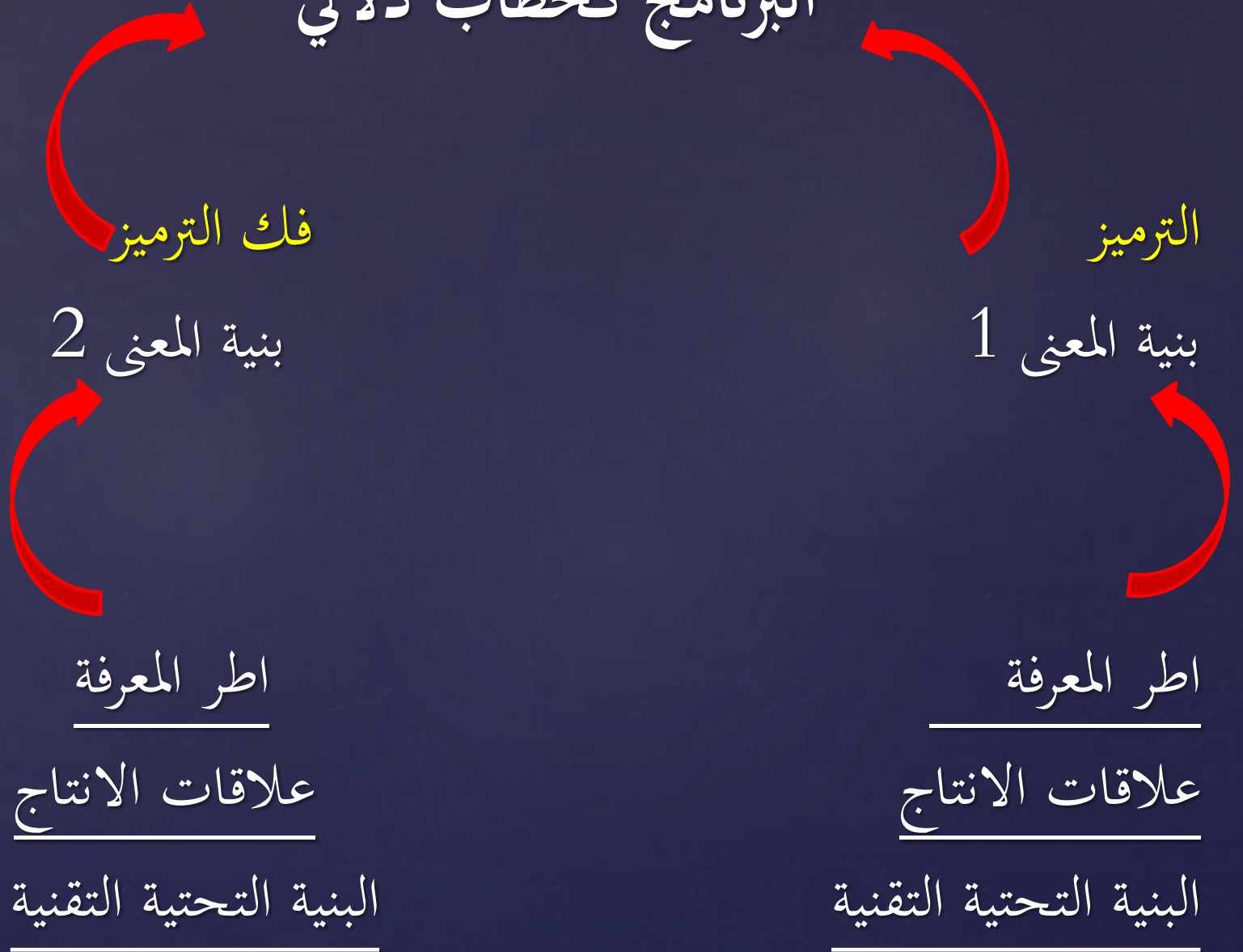
■ إن المستقبل أيا كان الموقع الذي يتواجد فيه، فانه يستطيع رفض المعنى الذي يضيفه المرسل على الرسالة، و يؤولها بالطريقة التي تلائمه، انطلاقا من رغباته، و معارفه، و معاشه (vécu) و موقعه الاجتماعي.

■ سيرورة تلقي الخطاب التلفزيوني:

فك الترميز (Décoder)		الترميز (Coder)
<ol style="list-style-type: none">1. الاتصال رمز لكل الانواع.2. بنيات و رموز الوسائل و الانواع.	التاريخ	<ol style="list-style-type: none">1. الاتصال رمز لكل الانواع.2. بنيات و رموز الوسائل و الانواع.

بنية المعرفة		بنية المعرفة	
البنية التحتية التقنية	علاقات الانتاج	البنية التحتية التقنية	علاقات الانتاج
- علاقات الانتاج. البنية التحتية التقنية. البنية السياسية الاقتصادية. ظروف الانتاج.	- التدريب الاجتماعي. - مفاهيم الاجتماعي، و الطبيعة الشخصية، و العلاقات. - الرؤية الكونية.	- علاقات الانتاج. البنية التحتية التقنية. البنية السياسية الاقتصادية. ظروف الانتاج.	- التدريب الاجتماعي. - مفاهيم الاجتماعي، و الطبيعة الشخصية، و العلاقات. - الرؤية الكونية.

البرنامج كخطاب دلالي



• القراءة المحتملة للخطاب:

1. إن هذه المعاني (أو هذا المعنى) مرمزة عن طريق
البنىات المعرفية، و أن هذه الأخيرة تحمل بعدا
اجتماعيا ماديا (فهي مقحمة في السيرورات
الاقتصادية و الثقافية للمجتمع) .

2.

إن المتلقي يفك الرموز، بالمعاني التي يضيفها في سياق بنيتها المعرفية. أما المسافة في إطار history في صيغتها الزمنية، أو في صيغة الاختلافات الاجتماعية، و الجغرافية (الوطنية...)، يكون لها أثر كبير على التشابكات بين الرموز، و طريقة فك معانيها.

3. إن مختلف رموز كل الأشكال التي يتم من خلالها بناء المعاني (ابتداء من معاني الكلمات و الدلالات إلى استخدامات الأشكال، و التبعات الاجتماعية و الأيديولوجية) يمكن أن يتنوع من موقع استقبال إلى آخر، و بالطبع يمكن أن يتغير من المرسل إلى المستقبل (أو بطريقة أصح من المرمز إلى الذي يفك الرموز).

• التفسير الثقافي و السياقي للخطاب

1. إطار الرموز المهيمنة:

و هي الحالة التي يتم فيها قراءة الرموز بطريقة مشابهة للطريقة التي وضعها المرمزون أو في نفس الإطار التأويلي الذي تم وضعه.

و هي الحالة التي **يندمج** فيها الفرد (بدون أي مانع) في المعاني المرتبطة بالمعلومات التلفزيونية أو الحصص الإخبارية، و فك رموز الرسالة بالنظر إلى **الرمز المرجعي** الذي استخدم في عملية الترميز، في هذه الحالة نقول أن المشاهد يتحرك في إطار **الرمز المهيمن**، و هذا نموذج لما يمكن تسميته "**الاتصال الشفاف**".

و في هذا الإطار نستطيع أن نميز موقف (دور) الرمز المهني code professionnel الذي يتخذه المهنيون في التلفزيون. و يظهر عندما يرمزون رسالة يكون لها معاني مهيمنة.

و يعتبر الرمز المهني مستقل نسبيا عن الرمز المهيمن، في الوقت ذاته يضع معايير لعمليات تحويل خاصة به (المهني) لها طابع تقني-تطبيقي.

و منه فان الرمز المهني يتحرك في إطار سيطرة الرمز
المهيمن، فهو يصلح في الحقيقة لإعادة إنتاج التعاريف
المهيمنة من خلال وضع خصائصها المهيمنة بين قوسين،
و اللجوء بدلا من ذلك إلى ترميز مهني يتخذ مسافة مع
الموضوع و التي تضع في الواجهة تساؤلات محايدة و تقنية
في ظاهرها، كجودة الصورة، و قيمة المعلومات، و طريقة
تقديمها، و جودة الحدث التلفزيوني.

2. إطار المفاوض:

يقبل المشاهد في هذه الحالة ببعض خصائص المعاني المهيمنة، إلا أنه يغيّر خصائص أخرى ليوافق معانيها و أهدافها.

يحتوي هذا الموقف خليط من العناصر الاندماجية، و المعارضة. فهو يعترف بشرعية التعاريف المهيمنة للوصول إلى المعاني الكبرى، في الوقت الذي يضع فيه قواعده الخاصة في مستويات أكثر تحديدا و خصوصية من الناحية السياقية.

فهو يسمح لتعاريف الأحداث المهيمنة بأخذ الموقع
المتميز، و يحتفظ للظروف المحلية (أي مواقفه الخاصة
بسياقه المحلي التي تمس مهنته) بحق القيام بتطبيقات
معارضة .

و من هنا فان إطار المفاوض في الايدولوجيا المهيمنة
تتواجد فيه عدة تناقضات رغم أنها لا تظهر إلا من حين
إلى آخر.

إن الرمز المفاوض يعمل من خلال ما يمكن تسميته
" بالمنطق الذي يراعي الوضعية " (logique
situées) و هذا الأخير متواجد من خلال علاقته
غير المتساوية، و المختلفة مع خطاب أو منطق
السلطة.

• **مثال:** موقف عامل تجاه قانون ينظم العلاقات الاقتصادية، مع وضع حد للحق في الإضراب، أو /و
تحميد الرواتب:

- **يستطيع أن يتبنى التعريف المهيمن** و القول بأنه ينبغي على الكل القبول بان يربح اقل للتقليل من ظاهرة التضخم (دون أن يكون لذلك علاقة مع حقه في الإضراب).

- **أو رفض القانون تماما** على مستوى مؤسسته، و فضائه النقابي.

إن الرمز المفاوض يبرز و يظهر من خلال التناقضات
الموجودة أو التي تظهر بين مستويات الترميز المهيمنة
المسيطرة، و الطريقة المفاوضة و الخصوصية في فك هذه
الرموز. و بالضبط هذا الخلل بين هذه المستويات
هو الذي يدفع بالنخب و المحترفين بالقول بان هناك "
إخفاق في الاتصال" échec de la communication

3. إطار المعارض:

نقوم في هذه الحالة بقراءة في الاتجاه المعارض للرموز المهيمنة. في إطار هذه الحالة فان المشاهد يفهم الخطاب فهما جيدا في كل منعطفاته السطحية منه و الضمنية، و لكنه يفسر الرسالة بطريقة مخالفة تماما.